أهمية المسرح في تشكيل شخصية الطفل

د. نور الدين بولفخاذ
مدير مدرسة الأطفال المعوقين بصرياً
الجزائر



للمسرح فوائد كثيرة في تنمية وتطوير مهارات الأطفال، وكذلك علاج عديد من الصعوبات والاضطرابات، ويقدم هذا المقال لمحة تاريخية عن نشأة مسرح الطفل وأقسامه وأنواعه وفوائد استخدامه بوصفه وسيلة تعتمد عليها التربية الحديثة في تنمية قدرات الأطفال.

١- تعريف مسرح الطفل:

حدد قاموس «أكسفورد» تعريف مصطلح مسرح الطفل كما يلي: «هو عروض الممثلين المحترفين أو الهواة للصغار سواء على خشبة مسرح أو في قاعة معدة لذلك».

ويعرّف معجم المصطلحات الدرامية مسرح الطفل بأنه «المكان المهيأ مسرحياً لتقديم عروض تمثيلية كتبت وأخرجت خصيصاً لمشاهدين من الأطفال. وقد يكون اللاعبون كلهم من الأطفال».

إذن مسرح الطفل هو ذلك المسرح الذي يخدم الطفولة سواء أقام به الكبار أم الصغار مادام الهدف هو إمتاع الطفل والترفيه عنه وإثارة معارفه ووجدانه وحسه الحركي أو تشخيص الطفل لأدوار تمثيلية ولعبية ومواقف درامية للتواصل مع الكبار أو الصغار؛ وبهذا يكون مسرح الطفل مختلطاً بين الكبار والصغار، ويعني هذا أن الكبار يؤلفون ويخرجون للصغار ماداموا يمتلكون مهارات التنشيط والإخراج وتقنيات إدارة الخشبة، أما الصغار فيمثلون ويعبرون باللغة والحركة ويجسدون الشخصيات بطريقة مباشرة أو غير مباشرة اعتماداً على الأقنعة، ومن هنا، فمسرح الصغار هو مسرح للطفل مادام الكبار يقومون بعملية التأطير، وهو كذلك مسرح الطفل إذا كان مسرحاً يقوم به الطفل تمثيلاً وإخراجاً وتأليفاً وهكذا، فمسرح الطفل يعتمد على التقليد المحاكاتي والإبداع الإنتاجي.

٢- لمحة تاريخية عن نشأة مسرح الطفل :

أورد أفلاطون في «جمهوريته» ضرورة تلقين الجند فن المحاكاة، وذلك بتمثيل أدوار درامية تتعلق بالمروءة والفضيلة والشجاعة دون غيرها من الأدوار المشهدية تفادياً لتأثير محاكاة الرذيلة على طباع الجنود، وكان الشباب الإغريقيون في مدينة أثينا يتعلمون الرقص التعبيري ضمن البرنامج الدراسي.

وفي فرنسا ترجم رونسار Ronsard مسرحية «بلوتوس» Plutus لأريستوفان المسرحي اليوناني لكي يمثلها تلاميذ معهد كوكوري Coqueret سنة ١٥٤٩، كما تحدث مونتاني Montaigne في كتاباته عن ممارسته للمسرح عندما كان تلميذاً، واعتبر أن مثل هذه التمارين ممتازة جداً ومهمة لتكوين الناشئة.

وفي إسبانيا فإن أول عرض مسرحي طفولي كان يحمل عنوان «خليج الأعراس» عام ١٦٥٧، وقد قدم العرض بحديقة الأمير فرناندو نجل فيليبي الرابع ملك إسبانيا، وهو من تأليف الكاتب المسرحي الكبير بدرو كالدرون دي لاباركا الذي أنعش عصره الذهبي بكثير



من المسرحيات الممتعة والهادفة.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية أنشأت ميني هينز سنة ١٩٠٣ مسرح الأطفال التعليمي، ومن العروض الطفلية التي قدمتها: الأمير والفقير، والأميرة الصغيرة والعاصمة.

وفي روسيا ظهر مسرح الطفل سنة ١٩١٨وجُلُّ قصصه الدرامية غربية مثل: ملابس الإمبراطور والأمير والفقير، وهدف هذا المسرح إيديولوجي ليس إلا، يتمثل في إظهار بشاعة الرأسمالية وحقارة المحتكر. ويبرز مكسيم جـوركي سنة ١٩٣٠ هذا التوجه الإيديولوجي لمسرح الطفل بقوله: «ومن التزامنا بأن نروي لأطفالنا القصص بطريقة مرحة ومسلية، فالإلزام أن تصور القصص وتلك المسرحيات بشاعة الرأسمال وحقارة المحتكر».

وبالتالي فإن أوربا تعرفت على مسرح الطفل قبل العالم العربي الذي لم يعرفه – حسب علمنا – إلا في السبعينيات من القرن العشرين، وإن كان الباحث المغربي مصطفى عبد السلام المهماه يرى أن المغرب عرف مسرح الطفل منذ سنة ١٨٦٠ «عندما استولى الإسبان على مدينة تطوان؛ حيث مثلت فرقة بروتون مسرحية بعنوان: «الطفل المغربي»، وذلك على خشبة مسرح إيزابيل الثانية بتطوان، وهي أول خشبة في العالم العربي وفي إفريقيا، وبعدها قاعة مسرح الأزبكية ١٨٦٨، والأوبرا بالقاهرة سنة ١٨٦٩ بمناسبة فتح قناة السويس، وبالطبع نعتبر التاريخ أعلاه، بداية لمسرح الطفل وللمسرح عامة».

مسرح الطفل امتاع وترفيه وإثارة معارف

٣- أهم المربين والمختصين الذين تناولوا مسرح الطفل:

إن البداية الفعلية الأولى لمسرح الطفل كانت على يد المربين والمربيات الذين استفادوا من آراء جان جاك روسو الذي دعا في كتابه (إميل) إلى الانتباه إلى لعب الطفولة قائلاً: «أحبوا الطفولة وفضّلوا لعبها ومتعها وغريزتها المحبوبة».

وقد قدمت دي جينليس Madame de Genlis : في سنة ١٨٧٤عرضاً مسرحياً خاصاً بالطفل في حديقة ضيعة دون شارتر بضواحي باريس وقصة العرض تعبيرية (بانتوميم)، وعرضت كذلك مسرحية (المسافر) وقام بأدوارها أبناء الدوق، ومسرحية (عاقبة الفضول) التي تصور ما يجلبه الفضول على صاحبه، وكان التأليف والتلحين لمدام دي جينليس المربية. وسار أرنود بركين Arnaud Berquin (١٧٤٩–١٧٩١) على غرار دي جينليس في تقديم العروض المسرحية المتعلقة بالأطفال، وهما معاً من أتباع مدرسة الكتابة للأطفال في فرنسا. واستفاد مسرح الطفل من آراء التربية الحديثة التي تنص على حرية الطفل وخيريته كما عند جان جاك روســو في كتابه «إميل»، علاوة على أهمية اللعب والتمثيل ومعرفة الحياة عن طريق الحياة باعتبارها مرتكزات جوهرية في التربية الهادفة. ومن ثم، تشرب مسرح الطفل آراء روســو ومـاريـا مونتسوري وجون ديوي ودوكرولي وباكوليه وكلاباريد وبول فوشيه وبستولوزي Pestalozzi ومونتسوري Montessori.

٤- أقسام مسرح الطفل

أ- المسرح التلقائي أو الفطري:

وهو مسرح يخلق مع الطفل بالغريزة الفطرية، ويستند فيه إلى الارتجال والتمثيل اللعبي والتعبير الحر التلقائي (مثل لعبة العريـس والعروسـة).

ب- المسرح التعليمي: هو ذلك المسرح الذي ينجزه التلميذ تحت إشراف المربي أو المنشط أو المدرس أو الأستاذ، وبوجود نصوص معدة سلفاً ضمن المقررات الدراسية. ويمكن تفريعه أيضاً إلى:

– **مسرح التعليم الأولي**: ويرتبط بالكتاتيب القرآنية والتربوية ورياض الأطفال؛ حيث يمثل التلاميذ مجموعة من الأدوار المسرحية التي يقترحها المربون عليهم.



– **المسرح المدرسي**: هو ذلك المسرح الذي يستخدم التمثيل داخل المؤسسة التربوية (المدرسة الابتدائية والإعدادية والثانوية) بمثابة تقنية بيداغوجية لتحقيق الأهداف المصمَّمة سواء أكانت أهدافا عامة أم خاصة، وتستهدف الجوانب الفكرية والوجدانية والحسية الحركية. ويشرف على هذا المسرح المدرس، وذلك بتنشيط التمثيل الذي يقوم به التلاميذ داخل القسم أو في أثناء المناسبات الرسمية (الأعياد الدينية والوطنية) وغير الرسمية (فترة نهاية السنة الدراسية لتوزيع الجوائز وإعلان النتائج).

مسرح الطفل من أهم وسائل التربية الحديثة الرامية إلى تنمية مهارات الأطفال وقدراتهم

٥- أنواع مسرح الطفل:

– **مسرح خيال الظل**: يعتمد خيال الظل على الأشعة الضوئية لتشخيص أشياء من خلالها تنعكس الظلال على شاشة خاصة، وذلك باستعمال الأيدي والأرجل وبعض الصور.

وقد عرف خيال الظل في مصر والعراق، ويذكر أن صلاح الدين الأيوبي حضر عرضاً لخيال الظل مع وزيره القاضي الفاضل عام ٥٦٧هـ، واشتهر في هذه اللعبة ابن دانيال الموصلي والشيخ مسعود وعلي النحلة وداود العطار الزجال. وارتحل خيال الظل عبر مجموعة من الدول والمناطق ليستقر في الوطن العربي بعد أن انتقل من الهند إلى الصين؛ حيث تسلمته القبائل التركية الشرقية التي سريته بدورها إلى فارس ثم إلى الشرق الأوسط وتلقته مصر لتنشره في شمال إفريقيا.

- **مسرح العرائس**: هو مسرح الدمى أو الكراكين، وهو نوعان: نوع يُحَرَّك أمام الجمهور مباشرة بواسطة خيوط، والآخر يُحَرَّك بأيدي اللاعبين أنفسهم. وهو مسرح مكشوف يعرض قصصه في الهواء الطلق، وله ستارة تنزل على الدمى أو ترتفع عنها. أما الممثلون فشخص واحد أو أكثر وقد يصلون إلى خمسة، وهم على شكل دمى محركة بواسطة أيدي اللاعبين من تحت المنصة أو بواسطة الخيوط.

وقد ظهر مسرح العرائس قديماً عند المصريين القدامى (الفراعنة) والصينيين واليابانيين وبلاد ما بين النهرين وتركيا. بيد أن اليابانيين تفننوا فيه حتى أصبح مسرح العرائس إحدى أدوات التعليم والتلقين، فهم من الأوائل الذين أتقنوا هذا النوع من المسرح حيث يتهافت عليه الصغار والكبار من دون استثناء. وثمة كثير من المخرجين المعاصرين يعتمدون على مسرح الدمى كبيتر شومان في مسرحه الذي يسمى بمسرح الدمى والخبز.



- **المسرح الإذاعي**: هو ذلك المسرح الذي تنقله وسائل الإعلام وتذيعه بين الناس مرئياً وبصرياً وسمعياً سواء في الراديو أم التلفزيون أم الشاشة الكبيرة.

٦- فوائد المسرح لدى الطفل:

يعتبر مسرح الطفل من أهم الوسائل التي تعتمد عليها التربية الحديثة في تطوير وتنمية العديد من المهارات والقدرات لدى الأطفال، والتي يصعب تحقيقها عن طريق وسائل أخرى منها القدرات اللغوية، زرع روح المبادرة ، تعزيز الثقة بالنفس، وتطوير المهارات الحسية والحركية ...إلخ.

ولكون المسرح يتيح للطفل المشاركة بل يعتبر المنشط الرئيس للقيام بالأدوار الموكِلة إليه والتي تتناسب وميوله وقدراته أو يعطيه الدور الذي يمكن أن يعالج أو يقلل من اضطراب معين لديه، فان ذلك يفتح المجال واسعاً ويمنحه فرصاً أكبر للوقوف على القدرات والصعوبات؛ وبالتالي يحاول جاهداً أن يقوم بالتصحيح الذاتي للصعوبات ويحتفظ بالقدرات المكتسبة.

ويمكن أن نحصر فوائد المسرح لدى الطفل في المحاور التالية:

- الفائدة العقلية:

يلعب مسرح الطفل دوراً مهماً في تنمية وتطوير وظائفه العقلية العليا (الذكاء، التصور، التذكر)؛ فالوضعيات التي يجد الطفل نفسه فيها والتي يتطلبها عرض مسرحي تفرض عليه توظيف ذكائه حتى يقدم دوراً ناجحاً يتقيد فيه بتوجيهات وإرشادات المربي والشروط الموضوعية للنص المسرحي، كما



أن المسرح يمكن أن يطور قدرات التصور والخيال لدى الطفل حسب الموضوع الذي يتناوله النص المسرحي وخصوصاً إذا تناول الشخصيات الخرافية والأسطورية حيث تدفع بالطفل إلى الاجتهاد حتى يقلد الإيماءات والحركات والكلمات لكي يكون أقرب إلى تقمص الشخصية الخيالية الموكلة إليه.

المسرح يسهم في علاج الاضطرابات النفسية للطفل ومشكلاته اللغوية

كما أن المسرح يضع الطفل في وضعيات تجعله يجتهد ويوظف إمكاناته لكي يتمكن من تثبيت واسترجاع الحركات، والكلمات، والإيماءات....إلخ، والتي تساعده على أداء الدور المسرحي المنوط به بكفاءة وبشكل صحيح.

الفائدة النفسية:

للمسرح قدرة هائلة على علاج الاضطرابات النفسية المختلفة التي يعاني منها بعض الأطفال، والمواقف التي يضعها المسرح في الطفل تجعله أكثر ثقة بالنفس من خلال نجاحه في أداء الدور المنوط به، كما يساعده على تخطي بعض المشكلات اللغوية من خلال القدرة على تصحيح الكلمات والجمل ونطقها بالشكل الصحيح، بالإضافة إلى التحلي بروح المبادرة والإبداع والإقدام بدل الخوف والتردد والإحجام.

إن المسرح يساعد الطفل على الاندماج في المجتمع من خلال التعود على لعب الأدوار الجماعية والتعاون والتنسيق مع بقية الشخصيات المشاركة في المسرحية؛ فينفتح على الآخرين ويكوِّن علاقات اجتماعية إيجابية أساسها التفاهم والتشاور والتضامن.

الفائدة الحسية:

نظراً إلى كون حواس الطفل في مراحل تطوره ونموها؛ فإن المسرح يساعد الطفل بشكل ملحوظ على تطويرها على نحو أكبر وأسرع، فالطفل يعمل كل ما بوسعه لكي يكون يقظاً ومنتبهاً في أثناء العرض المسرحي وخاصة حاستي البصر والسمع، فمن خلالهما يستطيع أن يتفاهم ويتواصل سواء مع الشخصيات المشاركة أو مع الجمهور.



إن الذاكرة السمعية لدى الطفل تتطور بشكل أحسن وأدق مع مرور الوقت، فهو ملزم بالاستماع والإصغاء لما تقوله الشخصيات المشاركة حتى يتسنى له التدخل والرد بما يتوجب عليه، كما يلزمه تقليد الحركات والإيماءات بالشكل المطلوب والدقيق، وهذا لن يكون إلا بتدخل الذاكرة البصرية.

الفائدة الحركية:

يساهم المسرح في تنمية المهارات الحركية لدى الطفل من خلال طبيعة الأدوار والشخصيات التي يمثلها، فإذا كان على الطفل أن يمثل دور حيوان معين فعليه أن يقلد حركات وسكنات ذلك الحيوان سواء من خلال المشي على الأطراف الأربعة أو القفز أو الركض ....إلخ.

وكل هذه السلوكيات الحركية تساعد الطفل على التحكم الجيد في حركات جسمه والقدرة على مراقبتها، كما تسهم في تنمية وتطوير مختلف الوضعيات الحركية بداية من الحركة العامة إلى حركات أطراف الجسم.

وللإشارة يمكن أن يستعمل المسرح في التقليل من بعض الاضطرابات الحركية التي يعاني منها بعض الأطفال من خلال اختيار الموضوع المناسب.

الخاتمة:

إن العلوم التربوية الرائدة والحديثة تجزم بأهمية المسرح بالنسبة إلى الطفل؛ لما له من فوائد جمة في تنمية وتطوير العديد من المهارات، والتقليل أو إزالة العديد من الصعوبات والاضطرابات.

وعليه بات من الضروري إتاحة الفرصة لجميع الأطفال بداية من رياض الأطفال لممارسة نشاطات مسرحية؛ بشرط أن تكون ذات موضوعات مناسبة للمرحلة العمرية للأطفال حتى يتمكنوا من أدائها بشكل سهل وصحيح، وكذلك تكون محبوبة ومرغوباً فيها من قبل الأطفال.